وقائع مؤتمر الإمام الحسين عليه السلام الدولي السنوي السادس

الجزء الرابع

محفوظة جميع الحقوق

لدار القرآن الكريم في العتبة الحسينية المقدسة

BP133.7 .A44 .M88 2026
ISBN 9789922778358

مؤتمر الإمام الحسين عليه السلام الدولي السنوي المنعقد بعنوان: أثر أمير المؤمنين علي عليه السلام القرآني في مدونات المسلمين السادس (٦-٥/ ٢/ ٢٠٢٥ : كربلاء، العراق).
وقائع مؤتمر الإمام الحسين عليه السلام الدولي السنوي السادس المنعقد بعنوان: أثر أمير المؤمنين علي عليه السلام القرآني في مدونات المسلمين : قراءة في المنهج والادوات / أقامه قسم دار القرآن الكريم التابع للعتبة الحسينية المقدسة بالتعاون مع كلية العلوم الإسلامية - جامعة كربلاء ورابطة التدريسيين التربويين بتاريخ (٥-٦/ ٢/ ٢٠٢٥) - الطبعة الأولى - كربلاء، العراق : العتبة الحسينية المقدسة، قسم دار القرآن الكريم، ٢٠٢٦م / ١٤٤٧ هـ.
٥ مجلد ؛ ٢٤ سم. - (العتبة الحسينية المقدسة؛ ١٧٦٣)، (قسم دار القرآن الكريم؛ ٤٧).
يتضمن ارجاعات ببليوجرافية.
١. علي بن أبي طالب عليه السلام الإمام الأول، ٢٣ قبل الهجرة-٤٠ للهجرة - في القرآن - مؤتمرات.
٢. علي بن أبي طالب عليه السلام الإمام الأول، ٢٣ قبل الهجرة-٤٠ للهجرة - أثره في تفسير القرآن وعلومه- مؤتمرات.
٣. حديث (علي مع القرآن) - دراسة.
٤. الإسلام والسياسة - مؤتمرات.
٥. السياسة الاقتصادية (الإسلام) - مؤتمرات.
٦. الإسلام وعلم الاجتماع - مؤتمرات.
٧. الإسلام والطب. أ. العتبة الحسينية المقدسة (كربلاء، العراق). دار القرآن الكريم. ب. العنوان.
تمت الفهرسة قبل النشر في شعبة نظم المعلومات التابعة لقسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة الحسينية المقدسة.

239،3063

م ٣٥٩ مؤتمر الإمام الحسين عليه السلام الدولي (٦: ٢٠٢٦: كربلاء)
وقائع مؤتمر الإمام الحسين عليه السلام الدولي السنوي السادس المنعقد بعنوان أثر أمير المؤمنين علي عليه السلام القرآني في مدونات المسلمين : قراءة في المنهج والأدوات/ مؤتمر . ط١- كربلاء: دار القرآن الكريم، ٢٠٢٦، الجزء الرابع، (٥٨٠ صفحة)، ٢٤ سم.
١.الإمام الحسين بن علي عليهما السلام - الإمام الثالث- مؤتمرات .
م. العنوان.
رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد: (٢٠٤٤) - لسنة ٢٠٢٦م

الإخراج الفني: أمجد حامد الفتلاوي

وقائع مؤتمر الإمام الحسين عليه السلام الدولي السنوي السادس

المنعقد بعنوان

أثر أمير المؤمنين علي القرآني في مدونات المسلمين

قراءة في المنهج والأدوات

وتحت شعار لن يفترقا

علي مع القرآن والقرآن مع علي

أقامه قسم دار القرآن الكريم التابع للعتبة الحسينية المقدسة

بالتعاون مع كلية العلوم الإسلامية - جامعة كربلاء ورابطة التدريسيين التربويين

وذلك بتاريخ (٥-٢٠٢٥/٢/٦)

Ministry of Higher Education & Scientific Research
Research & Development Directorate

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
دائرة البحث والتطوير
قسم التنسيق والتعاون العلمي

العدد: ب ت/ ١٢٥٤
التاريخ: ٢٠٢٥/١/٢٩

جامعة كربلاء/ السيد مساعد رئيس الجامعة للشؤون العلمية المحترم

م/ مؤتمر

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

إشارةً الى كتابكم ذي العدد (ع/ش.ع/ ٣٠٩) في (٢٠٢٥/١/٢١) ومرفقه الاوليات الخاصة بمؤتمر جامعتكم الموسوم (**أثر امير المؤمنين علي (عليه السلام) القرآني في مدونات المسلمين – قراءة في المنهج والادوات**) والمزمع انعقاده للمدة (٥-٦/ ٢/ ٢٠٢٥) ، وبالنظر لاستيفائكم المتطلبات المشار اليها ضمن الضوابط الخاصة بإقامة المؤتمرات التي تم اعمامها بموجب كتابنا المرقم بالعدد (ب ت٢/٥٣٥٩) في (٢٠٢٣/٦/٢١) ، بشأنه حصلت الموافقة على إقامة المؤتمر أعلاه.

... مع التقدير

أ.د. لبنى خميس مهدي
المدير العام لدائرة البحث والتطوير
٢٠٢٥/ ١ /٢٩

نسخة منه الى//

- مكتب الوزير/ للتفضل بالاطلاع ... مع التقدير
- مكتب وكيل الوزارة لشؤون البحث العلمي/ للتفضل بالاطلاع ... مع التقدير
- دائرة البحث والتطوير/ مكتب المدير العام/ للتفضل بالاطلاع ... مع التقدير
- دائرة البحث والتطوير / قسم التنسيق والتعاون العلمي /شعبة المؤتمرات / مع الاوليات.

م.م. مروه ١/٢٨

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

المقدِّمة:

الْحَمْدُ للهِ النَّاشِرِ فِي الْخَلْقِ فَضْلَهُ، وَالْبَاسِطِ فِيهِمْ بِالْجُودِ يَدَهُ، نَحْمَدُهُ فِي جَمِيعِ أُمُورِهِ، وَنَسْتَعِينُهُ عَلَى رِعَايَةِ حُقُوقِهِ، وَنَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ غَيْرُهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَرْسَلَهُ بِأَمْرِهِ صَادِعاً، وَبِذِكْرِهِ نَاطِقاً، فَأَدَّى أَمِيناً، وَمَضَى رَشِيداً، وَخَلَّفَ فِينَا رَايَةَ الْحَقِّ، مَنْ تَقَدَّمَهَا مَرَقَ، وَمَنْ تَخَلَّفَ عَنْهَا زَهَقَ، وَمَنْ لَزِمَهَا لَحِقَ، آلَه الطاهرين، صلوات الله عليهم أجمعين...

خلق الله تعالى أمثلةً للإنسان الكامل على مختلف العصور؛ فكان حجَّته في أرضه التي لا تخلو من مثالٍ لذلك الكمال، الذي هو بنفسه درجات مثَّل أعلاها نبيُّنا محمَّدﷺ، فكان المثال الأعلى في الكمال على مستوى المخلوق، ولو أردنا البحث عمَّن يليه في هذه المرتبة فلا بدَّ من الاستعانةِ بخطٍّ شروعٍ متَّفقٍ عليه يكشف الكمال، ولا يوجد مثل القرآن الكريم من يكشف ذلك بوصفه كلام الله تعالى الكامل، وعلى أساس ذلك يكون مقياس الكمال على شدَّة المصاحبة والانطباق مع كلام الله تعالى، ويكون ذلك ميزانًا للتفاضل، ومن هنا فقد اتَّفقت مصادر المسلمين على رواية قول النبيِّ محمَّدﷺ لأمير المؤمنين عليِّ بن أبي طالبٍعليه السلام: ((عَلِيٌّ مَعَ الْقُرْآنِ وَالْقُرْآنُ مَعَ عَلِيٍّ، لَنْ يَتَفَرَّقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ))، وهذا الحديث رواه الحاكم النيسابوريّ (ت: ٤٠٥ هـ) في المستدرك وصحَّحه، ووافقه الذَّهبيُّ (ت: ٧٤٨ هـ) - على ما فيه من تشدُّدٍ - في التصحيح، وروي أيضًا في غير ذلك من المصادر الأخر، أمَّا في مصادر أهل البيتعليهم السلام فلا خلاف في هذا الحديث ودلالته، وبذلك فهو متَّفقٌ على صحَّته ونسبته إلى رسول اللهﷺ، وهو لا ينطق عن الهوى فيكون مصداق هذا الحديث حقيقة لا مرية فيها، وعلى أساس ما تقدَّم أُقيم هذا المؤتمر العلميّ الدَّوليّ لدراسة حقيقة هذا الحديث وواقعه العمليّ عبر البحث في مدوَّنات المسلمين عن الأثر القرآني لأمير المؤمنينعليه السلام، وبيان ما له من علومٍ قرآنيَّة تفرَّد بها؛ وصولًا إلى الإثبات العمليّ لدلالة الحديث المذكور آنفًا.

وقد حدَّد المؤتمر مساره البحثي في بيان الحقائق القرآنيَّة على وفق منهج أمير المؤمنين عليه السلام، والبرهنة العمليَّة على كماليَّة القرآن الكريم بشموله لكلِّ نواحي الحياة، ومقاربة ذلك بحياتنا المعاصرة، ومعالجة أهمِّ مشكلاتها في ضوء ما قدَّمه أمير المؤمنين عليه السلام من أثرٍ قرآنيٍّ امتدَّ ليشمل الحاجات الإنسانيَّة على مختلف العصور، مركِّزًا في ذلك على حاجات الإنسان الكبرى التي لا تختلف باختلاف صور معيشته، ومن هنا فإنَّ المؤتمر يركِّز على الأثر القرآنيّ لأمير المؤمنين عليه السلام تفسيرًا وعلومًا، ومقاربته على وفق المناهج الحديثة في البحث العلميّ ومساراته المعرفيَّة في التخصصات الإنسانيَّة والعلميَّة؛ لتكون النتيجة تقديم أمير المؤمنين عليه السلام بوصفه حلًّا لكلِّ التقاطعات، والمرجعيَّة الأصيلة التي يمكن أن ننتهي إليها بمعيَّة القرآن الكريم.

وكان حاصل هذا المؤتمر مائة وخمسة وستِّين بحثًا في شتَّى التخصُّصات المعرفيَّة، عملت على استنطاق أهداف المؤتمر ومعالجة أهمِّ المسارات التي حُدِّدت بشأنِ أقامته، وما هذه الوقائع إلَّا واحدة من مخرجات المؤتمر نأمل من الله تعالى أن تكون مرضيَّةً من لدن الباحثين والمتخصِّصين والمتابعين بشكلٍ عام.

وآخر دعوانا أنِ الحمدُ لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على محمَّد وآله الطاهرين.

لجنة التدقيق والمراجعة العلمية

الشيخ د. خير الدين علي الهادي سلمان/ رئيس قسم دار القرآن الكريم
السيد د. مرتضى عبد الأمير جمال الدين/ معاون رئيس قسم دار القرآن الكريم
م.د. عماد طالب موسى/ مدير مركز البحوث والدراسات القرآنية
أ.م.د. عمار حسن عبد الزهرة/ مدير تحرير مجلة هدي التقلين
م.د. بهاء مهدي مظلوم دويج/ مدقق لغوي
م.د. عمار عبد العباس عزيز/ مدقق لغوي
أمجد حامد شاكر/ مدقق فني

الفهرس

أهميَّةُ التوظيفِ القرآنيِّ في خطبِ أميرِ الؤمنينَ عليه السلام ١١

م . د. فراس عبدالخالق منديل الغانمي/ م. م. هبه قاسم زويد الموسوي

الأبعادُ القرآنيَّةُ للعدالةِ والتوسعةِ الاقتصاديَّةِ في سيرةِ أميرِالمؤمنينَ عليه السلام ٣٥

الدكتور مصطفى الغفوريّ

النَّهْجُ القُرْآنيُّ للإمَامِ عليّ بن أبِي طَالب عليه السلام في التَّسَامُحِ والإصْلَاحِ السِّيَاسيِّ وأَثَرُهُ في المُجْتَمَعِ الإسْلاَمِيِّ ٥٩

د. عادل محمّد زيادة البهيّ

أسبابُ اختلافِ الحديثِ في روايةِ الإمام عليّ عليه السلام ٩٥

د. حميد البغدادي

أثرُ الخطابِ القرآنيّ في التّربيةِ العقليّةِ والنّفسيّةِ عند أميرِ المؤمنينَ عليه السلام (كتابُ نهجِ البلاغةِ أنموذجًا) ١٢٣

د. ريما حسين أمهز

الآياتُ القرآنيّةُ المصاحبةُ للتُّحفِ الأثريّةِ التي تحمل اسم الإمام عليّ عليه السلام (دراسة في الشكل والمضمون) ١٥٥

د. عبد الحميد عبد السلام أبوعِليو

منهجيّة الإمام عليّ عليه السلام في الحكم وإدارة البلاد..... ٢١٧

د. منى حسن خازم

أثرُ أميرِ المؤمنين عليّ عليه السلام في العلوم الإنسانية (الفنون والرسم) لوحات الفنان الإيراني حسن روح الأمين أنموذجًا دراسة تحليلية ٢٤١

د. نجلاء حسين الصراف

الأثرُ القرآني لأميرِ المؤمنين عليه السلام في العلوم النفسيّة والتربويّة (شخصيّة المنافقين أسبابٌ ومعالجاتٌ)..... ٢٦٧

د. وفاء كاظم جبار

التفسيرُ القرآنيّ للإمامِ عليّ عليه السلام وانعكاساتُه في خطبِه ورسائلِه السياسيّة -دراسة تحليليّة- ٢٩٧

م. د خديجة حسن علي القصير

تَوْظِيفُ التَّعْبِيرِ الْقُرْآنِيِّ فِي نظم نَهْجِ الْبَلَاغَةِ وأَثَرُه في دِرَاسَةِ الإيقَاع الصَّوْتِيَّ وموسيقى الصُّورَةِ الصَّوْتِيَّةِ ٣١٩

م. د دُرَيد عبْد الله يُوسُف

دورُ الإمامِ عليِّ بنِ أبي طالب عليه السلام في تنميةِ مهاراتِ التواصلِ الاجتماعيِّ لدى الأطفالِ من وجهةِ نظرِ أفرادِ المجتمعِ العراقيِّ ٣٥٩

م.د. هيفاء محمود الأشقر

مفاتيحُ الإدارةِ في الرؤيةِ القرآنيّة العلويّة ٣٩١

د. ذو الفقار جواد ناجي جاسم

النظامُ الاقتصاديُّ في عصرِ أميرِ المؤمنينَ عليّ عليه السلام مرجعيّاتُه القرآنيّةُ ٤١٧

د. رحاب حسين جبار إبراهيم الزغير

التربيةُ في فكرِ الإمامِ عليّ عليه السلام من منظورٍ قرآنيّ..... ٤٤٩

د. فاطمة مهدي البزال

مروياتُ أمير المؤمنين عليه السلام وفقهه في كتب الحديث دراسة نقدية - صحيح البخاري أنموذجًا ٤٧٧

السيّد الدكتور عبد الستار الجابري

أثرُ أميرِ المؤمنين عليه السلام القرآني في العلوم الإسلاميّة علوم القرآن الكريم أنموذجًا ... ٥١٩

الدكتور ليث عبد الحسين فرحان العتابي

شذراتٌ تربويّة بين الخطاب القرآني وفكر الإمام عليّ عليه السلام ٥٥٣

م.د. براء علاء عبدالحسين الركابي/ م. م. أياد حسن كاظم العبدالله الحوزي

التربيةُ في فكرِ الإمامِ عليّ عليه السلام من منظورٍ قرآنيّ

د. فاطمة مهدي البزال

دولة لبنان

الملخّص:

إنّ دراسة الشخصيّات التاريخية العظيمة، لا سيّما أئمّتنا الأطهار عليهم السلام، تُعطينا لمحًا عن المراحل التي مرّوا بها، بجوانبها السّياسية والفكرية والاجتماعية والثقافية؛ بغية استثمارها في الحاضر؛ لأخذ العِبر والدروس منها. وتُعدّ دراسة حياة الأئمّة عليهم السلام ومتضمّنات أقوالهم من الموضوعات المهمّة في التاريخ الإسلامي؛ كونها تُشكّل رافدًا ومعينًا عذبًا يُساعدنا في التّعرف والكشف عن الحياة والظروف السائدة في ذلك الوقت، وانعكاسها على البنى الفكريّة لديهم؛ لتطويعها بما يُناسب ويتلاءم مع كلّ عصر من العصور. وكان للإمام عليّ عليه السلام قصب السّبق في هذا المجال بعد النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله، وهو صاحب النّهج الذي ما زال يمدّنا حتّى اليوم بإشعاعاتٍ مضيئة تنعكس دلالاتٍ برّاقة تروي ظمأ القلوب العطشى للبيان والسّحر، أضف إلى ذلك ما يُتحفُنا به الأمير عليه السلام من وصايا وقيمٍ تصلح لكلّ زمانٍ ومكان، تؤسّس لمنظومة تربويّة وأخلاقيّة متكاملة، بقالبٍ فنّيٍّ فيه من البلاغة والفصاحة ما يسلب الألباب، ويحيّر العقول، وفيه من الرأفة والرّحمة ما يليّن القلوب، ومن الفِكر ما يفتحُ مغالق العقول، وقد جاء كلّ ذلك منسجمًا مع القرآن الكريم، وهو الذي وعاه، وكان العالم بتفسيره وتأويله؛ محكمه ومتشابهه.

الكلماتُ المفتاحية: التربية، الإمام عليّ عليه السلام ، القرآنُ الكريم.

Abstract:

Studying historical figures provides us with insights into the phases they went through، in their political، intellectual، social، and cultural dimensions، aiming to invest in the present to draw lessons from them. Studying the lives of the Imams (peace be upon them) is one of the important topics in Islamic history as it constitutes a fresh stream and a pure source that helps us understand and uncover life and in the prevailing circumstances at that time، reflecting on their intellectual structures to adapt them to suit each era.

Imam Ali (peace be upon him) had the pioneering role in this field after the Noble Prophet، peace be upon him and his family. He is the owner of the approach that still enlightens us today with radiant reflections that quench the thirst of hearts eager for eloquence and charm. In addition to what the Prince endows us with of directives and values suitable for every time and place، establishing an integrated educational and ethical system، with a framework that includes rhetoric and eloquence that captivates minds and softens hearts، and with thoughts that open the locks of minds.

Keywords: Education، Imam Ali (AS)، The Holy Quran.

المقدّمة

الحمد لله الذي هدانا وشرّفنا بقومٍ كانوا الحجج الدامغة، والأصول اليانعة، مؤنسي النّفس، ورافعي النّقص، وواهبي الأنس لمن تمسّك بالعروة الوثقى، وانتهج الطّريقة المُثلى، باتّباع الحقّ، وقول الصّدق. أزاحوا عن أعيننا العمى، فكانوا مصابيح الدّجى، ومنبع الإيمان، والقائلين من غدر الزّمان، بهم تُزال الحُجُب التي تقف أمام عين القلب النّاظرة إلى سرّهم، فتزداد قُربًا، وبهم يُزال ما ران على القلب، فيزداد وهجًا. مُتجلببين رداء الوقار، مُتدثّرين عباءة الفَخار، بأن منّ الله بولايتهم على الخلائق؛ ليُخرجهم من الدّيجور، إلى الرحمة والنّور، فجعل ولايتهم ميزانًا تُقاس به الأعمال، فمَن أحبّهم واهتدى إلى سحر بيانهم نجا، ومَن أبغضهم ومال عنهم ضلّ وغوى.

والحمد لله على عظيم نعمه، أن جعلنا نفنى بحبّهم، فهم القرآن النّاطق، والعقل الفاتق، تقف العلوم عند سواحلهم، ولم ندرك من العلم حرفًا، مستودع أسرار الله، وخزنة علمه، وحافظو رسالته، ودرعه الحصين، وبابه المكين، الذي منه يؤتى. فهم النّجوم السّواطع، والسّيوف القواطع، ذوو عزمٍ وإرادة وبصيرة، تجري الحكمة على ألسنتهم، والدّماء على أسنّتهم، تسليمًا لله ورضا، أئمّة الهدى، وقادة الورى في الدنيا والأخرى.

لقد اجتمعت في الإمام عليّ عليه السلام صفات الكمال، ومحاسن الشّرف، ومحمود الخصالِ والخِلال، فانتسبَ إلى أطيب الأعراق ـ بني هاشم. وهو الفصيح الذي شرّع للفصاحة نُظمها، وأودع البلاغة نواميسها، قاس عليه المتأخّرون، ولم يبلغه المتقدّمون، بل وقفوا عند ساحله اللجيِّ يغترفون ما استطاعوا من علمه الزّاخر، ولألائه الوافر، ومواهبه السنيّة، وحكمه الجليّة. العالِم بطرق السّماء، ومعارج

الأنبياء، خليفة سيد الأنبياء، وزوج ابنته الزهراء، من سرّه المكنون أضاءت مصابيح الدّجى متهلّلة، وفاحت الأكوان مُستبشرة، بأئمّة الهُدى الذين فرض الله طاعتهم، وجعلهم أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فهم الرّحمة والأمان، أئمّة الرّشاد، في الحاضر والباد. وهم العروة الوثقى، وباب الله الذي منه يؤتى.

من هنا، فإنّ الكلام عن أمير المؤمنين عليه السلام قدْ أُسيل في سبيله حبرٌ كثير، تناهى إليه العلماء والفقهاء والبلغاء والفصحاء، كلّ منهم يُعمِلُ أدواته وآليّاته العقلية والمنطقية والأدبيّة، يحاولون الحفر في جذوره والكشف عن مكنونه ولمّا يبلغوا الفتح بعد، فكلامه عليه السلام يُشكّل منظومة مفاهيميّة وأخلاقيّة وتربويّة وسياسيّة واقتصاديّة وفلسفيّة وأدبيّة وعلميّة شاملة، يستطيع كلّ عالم مقاربتها من خلال اختصاصه. وإنّني إذ أقفُ على خفرٍ عند ساحله، فلعلمي بتقصيري عن الإحاطة بما يستوجب منّي التمام وعدم النّقصان. قد نحاول تلمّس بعض الأفكار والتّعبير عنها بما تيسّر أمام هذا الخضمّ الواسع والبحر الزّاخر، والعلم الباهر لسيّد المتّقين عسى أن نحيط بالقليل، يكون رصيدًا ليوم النّفير. وقد كان هذا البحث الموسوم بعنوان (التربية في فكر الإمامِ عليّ عليه السلام من منظور قرآنيّ) محاولة للإضاءة على بعضٍ من جواهره الفريدة، ووصاياه الحميدة، التي تملّكت الفؤاد، وشغلت الفِكر، واستبطنت الرّشاد. وقد تناولت في بحثي بعض الأساليب التي اعتمدها الإمام عليّ عليه السلام لإيصال مفاهيمه التربويّة موزّعة إيّاها بين الأمر والنهي والإقناع ومدى ارتباطها بما جاء في القرآن الكريم في ثلاثة مطالب، تسبقها مقدّمة وتوطئة، ثمّ خاتمة لبيان أبرز ما توصّل إليه البحث، ثمّ عرض للمصادر والمراجع التي اعتمدت عليها.

توطئة: مضامينُ الخطابِ التربوي في نهجِ البلاغة وارتباطها بالقرآن

يُعدّ نهج البلاغة من الكتب القيّمة والثريّة التي حارت العقول في الوقوف عند كنهه؛ لما يحويه من البلاغة والفصاحة والقيم والمواعظ والحِكم، وكلّ ما يمتّ للاستراتيجيّات العقديّة والفقهيّة والتربويّة والعسكريّة بصلة. وقد جمعه الشريف الرضي وسبقه إليه آخرون، وتولّى شرح مضامينه كثير من العلماء على مرّ العصور. ويضمّ بين دفّتيه خلاصة ما قاله أمير المؤمنين عليه السلام من خطب ووصايا ورسائل وحكم، كانت الشّاهد على أحداث زمانه، بالإضافة إلى أنّ أقواله عليه السلام خرجت من دائرة العصر؛ لتكون مستقبليّة باستشراف ما سيكون؛ ولتكون صالحة لكلّ زمان ومكان؛ ليرسم الطّريق المؤدية للخلاص باتّباع خطى ثابتة وعزم راسخ لا يلين، مُبيّنًا العثرات ومُحيلًا إلى المُنجيات عبر تربية أخلاقيّة واجتماعيّة وعقائديّة تُمثّل اللّبنات الأساسيّة لبناء أيّ مجتمع سليم خالٍ من النّقص والعيوب.

كان الإمام عليّ عليه السلام شديد التأثّر بالقرآن قولًا وفعلًا، وقد عمل على ترسيخ الثقافة القرآنية في أذهان الناس، فقد وصفه عليه السلام بقوله: ((واعلموا أنّه ليس على أحد بعد القرآن من فاقة، ولا لأحد قبل القرآن من غنى، فاستشفوه في أدوائكم، واستعينوا به على لأوائكم، فإنّ فيه شفاء من أكبر الدّاء، وهو الكفر والنّفاق، والغيّ والضّلال))[1].

كان الأثر الحقيقي المبكر للقرآن في الكلام العربي على لسان الإمام عليّ عليه السلام في ما وصلنا من كتابه المجموع في نهج البلاغة؛ وذلك لأنّ المعاني الإسلامية كانت ذاتيّة في نفس الإمام عليه السلام بعد أن تشرّبها من منبعها الأصيل، فقد استخلصه النبيّ محمّد صلى الله عليه وآله لنفسه، وربّاه في حجره صغيرًا، فكان أوّل من آمن به، فضلًا عن كونه حافظًا لكتاب الله، واعيًا لآياته، يعرف ظاهرها وباطنها، شديد التأثّر بالقرآن الكريم.

---

(١) نهج البلاغة:٢/ ٩١.

ومن الأساليب التي اعتمدها الإمام عليه السلام المطالب الآتية:

المطلب الأوّل: الأمر

١- الأمر بالتقوى:

ففي وصيّته عليه السلام شدّد على مبدأ التّقوى مخاطبًا ابنه الحسن عليه السلام : ((فإنّي أوصيك بتقوى الله، ولزوم أمره، وعمارة قلبك بذكره، والاعتصام بحبله... أحيِي قلبك بالموعظة، وأمتْهُ بالزّهادة، وقوّه باليقين، ونوّره بالحكمة، وذلّلْهُ بذكر الموت، وقرّره بالفناء، وحذّره صولة الدّهر، وفُحْشَ تقلّب اللّيالي والأيام، وذكّره بما أصاب من كان قبلك من الأوّلين))[1].

فقد جعل القرآن التّمايز الأكبر بين البشر على أساس التّقوى وعدّها معيارًا لمعرفة القيم الإنسانيّة فالتّقوى خير الزّاد إذ قال تعالى: ﴿ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [البقرة:١٩٧]. وهذا ما أكّده صلى الله عليه وآله في وصيّته للإمام عليّ عليه السلام بقوله: ((إنّ الله رفع بالإيمان من كان النّاس يسمّونه وضيعًا إذا كان مؤمنًا، ووضع بالكفر من كان النّاس يسمونه شريفًا إذا كان كافرًا. فليس لأحدٍ فضل على أحد إلّا بالتّقوى))[2].

وأعظم وصيّة أوصانا بها الله سبحانه هي التّقوى، إذ يقول في كتابه العزيز: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ﴾ [النساء:١٣١].

- وهي ميزان الكرامة عند الله، قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ [الحجرات:١٣].

---

(١) نهج البلاغة:٥٤٩.

(٢) الكافي: ٣٢٨.

- وهي شرط قبول العمل: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة:٢٧].

- وهي أفضل اللباس: ﴿يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ﴾ [الأعراف: ٢٦].

- وهي مفتاح الهداية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا﴾ [الأنفال:٢٩].

- وبها يفتح الله بركات السّماء والأرض: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [الأعراف:٩٦].

- وبها يرزق الله ويجعل مخرجًا: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق:٢، ٣].

- وبها يُكفّر الله السيّئات ويُجزل الثّواب: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا﴾ [الطلاق:٥].

- وبها يدخل الإنسان جنّة الله: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ * فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ﴾ [القمر:٥٤، ٥٥].

وبالعودة لنصّ الوصيّة نلحظ حضور المُتكلّم ((إنّي أوصيك بتقوى الله))، فقد بدأ بلهجة وإيقاع فيه من الرأفة والحنان أكثر ممّا فيه من الأمر والإلزام، وقد أنبأنا من خلال خطابه بشخصيّة الأب الرحيم العطوف الذي يريد أن ينقل خلاصة تجاربه في الحياة لابنه، وأوّل درس هو لزوم التّقوى والحرص على تبيان أسُسها وقواعدها، مُفصّلًا فيها؛ لأنّها اللبنة الأولى للتّربية الفرديّة المؤسّسة لعلاقة الإنسان مع خالقه، مع ما يستوجب ذلك من حسن التّعامل مع النّفس ومُجاهدتها، والنّظر إلى القلب وإزالة ما ران عليه من الصدأ الموجب طلب العفو والرضا من الله سبحانه، فالتّقوى هي معيار الفضيلة وهي المَلكة التي تمنع الإنسان من ارتكاب المعاصي والذّنوب.

إنّ استخدام المصدر المشتقّ (تقوى / لزوم/ عمارة/ الاعتصام) من الفعل أعطى صفة الاستمراريّة والوجوب، فقد يتحقّق معنى الأمر بصيغ مُختلفة وأدوات متباينة منها: صيغة (افعل، لام الأمر، الأفعال الاقتضائيّة، المصادر الدالّة على الإلزام)، وغيرها، فإن يبدأ المُتكلّم بالتّقوى، هذا يعني أنّها الباب الأوّل للتربية وتزكية النّفس، فإذا استطاع الإنسان ترويض نفسه والتغلّب على شهواته، يستطيع بعدها أن يتغلّب على أيّة مُشكلة سلوكيّة كانت أم غير ذلك؛ لذلك كانت الانطلاقة منها، والتي تفرّعت بدورها إلى الدّوال التي تُعين على تحقيقها. فالاعتصام بحبل الله هو فرع من فروع التّقوى يحفظ الإنسان ويقوي علاقته بربّه ممّا يمنعه من السّقوط والخسران المُبين؛ لأنّ حبل الله أقوى وأوثق للعباد من غيره، وهو السبب الواصل بين الأرض والسّماء، وهو الحبل الموصل إلى النّجاة لا إلى التفرقة. يقول تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران:١٠٣] ونلحظ الاهتمام بذكر القلب حاضرًا وبالضمائر التي تحيل إليه وذلك لأنّه الأساس، وهنا يستحضر الأمير عليه السلام فعل الأمر فإحياء القلب يكون بالموعظة التي تنفع الإنسان وتفتح البصيرة، وإماتته تكون بالزهد حتى لا يكون أسير الشّهوات. من خلال هذا التضادّ (أحي قلبك/ أمته)، يرسم الإمام عليّ عليه السلام خارطة القلب مُبيّنًا الآليّات المنطقيّة التي تحقّق التّوازن فتجعل من العقل والقلب أداتيْن لتحقيق الهدف للوصول إلى التّقوى، أمّا اليقين فهو صفة يحتاج من يريد بلوغه الاستمراريّة والممارسة المُتأتية من جهد كبير. كما يأمر الإمام عليه السلام بتنوير القلب بالحكمة، وإذلاله بالموت.

٢- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

نلاحظ استخدام فعل الأمر في جانبٍ آخر من جوانب التربية، وهي التربية الوظيفيّة، وما لها من علاقة بارتباط الفرد بمجتمعه ويأتي على رأسها الأمر بالمعروف

والنّهي عن المنكر كما في قوله عليه السلام : ((وأمر بالمعروف تكن من أهله، وأنكر المنكر بيدك ولسانك، وباين من فعله بجُهدك))[1].

وتُعدُّ هذه الشَّعيرة من أهمّ شعائر الإسلام، وقد وجّه إليها الإمام عليه السلام عنايته؛ لما لها من أهميّة في تحصين المجتمع من الفساد، وهذا يتطلّب آليّة عمليّة وتخطيطًا دقيقًا للوصول إلى الهدف المرجوّ. وجاء فعل الأمر (وأمر) ليدلّ على وجوب الأمر بالمعروف كونه من فروع الدّين به تظهر شرائعه وتعلو أحكامه.

أمّا النتيجة المترتّبة عليه فقد تبدّت عبر جواب الطّلب (تكنْ من أهله)، ويُقابل الأمر بالمعروف/ النّهي عن المُنكر، في ثنائيّة ضدّيّة لم تقفْ عند حدِّ النّهي، بل تجاوزته إلى ضرورة مُحاربة المُنكر بالتّدرّج، وبالشّدّة إن تطلّب الأمر ذلك؛ لخطورته على الفرد والمجتمع (وباين من فعله بجهدك).

إنّ حضور المخاطب عبر (الكاف) والضمير المُستتر (أنت) العائد للإمام الحسن عليه السلام ، يُدلّل على أهميّة هذه الفريضة، مع التّنبيه إلى ضرورة الالتزام بها كونه عليه السلام سيكون مهيّئًا لقيادة المجتمع والأمّة فيما بعد؛ من هنا ينبغي التمرّس بها لتكون من الملكات الرّاسخة والمساهمة في بناء مجتمع سليم.

ونجد صدى هذا الكلام في القرآن الكريم؛

- فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو الطريق إلى الفوز والفلاح: ﴿وَلْتَكُنْ مِّنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران:١٠٤].

- وهو معيار التمايز بين الأمم: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ

(١) نهج البلاغة:٥٤٩.

بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [آل عمران:١١٠].

- منه تأتي البشارة: ﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة:١١٢].

- من أسباب التمكين في الأرض: ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ [الحج:٤١].

٣- الجهاد:

ويأتي الجهاد في المرتبة الثانية بعد الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر، فحين يكون المجتمع محصّنًا أخلاقيًّا وعقائديًّا، يصبح الجهاد في سبيل الحقّ واجبًا، ويصبح الخوض في غمراته أمرًا محبّبًا بعد الاطمئنان للجبهة الدّاخليّة. والجهاد في سبيل الله فرض كفائي يسقط عن بعض المسلمين إذا كان العدد كافيًا لمواجهة العدو. ولا يُقتصر على الجهاد بالنّفس فقط بل تخطّاه إلى كلّ وسيلة يتحقّق من خلالها الدّفاع عن الدّين والسّلامة في الدّنيا وإعلاء كلمة الحقّ، وهذا يتطلّب منظومة عمليّة تُشرك الجميع في هذا الأجر والثواب ومنها الجهاد بالأموال والكلمة مع ما أعدّه الله للمجاهدين من أجر، وإن اختلفت أساليب الجهاد. ففي قوله عليه السلام: ((وجاهد في سبيل الله حقّ جهاده وخُض الغمرات للحقّ حيث كان ولا تأخُذْك في الله لومة لائم))[1]، يحضر فعل الأمر مرّتينْ لضرورة الالتزام بهذه الفريضة ولزوم الجهاد في سبيل الله؛ لأنّه تجارة رابحة، فالمجاهد يتعامل مع الله الذي ضمن له

(١) نهج البلاغة: ٥٤٩.

النّجاة ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ * تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ﴾ [الصف:١٠-١١]، بالإضافة إلى استخدام النّهي (ولا تأخذك) وقد جاءت بمعنى النّصح وعدم التأثّر بلومة لائم من الذين يلومون الآخرين وينسون أنفسهم. وقد كرّر الإمام عليه السلام ضمير المخاطب ليؤكّد على دور الابن في الجهاد؛ لما له من أهميّة في المجتمع ، والحاجة الدائمة للاستعداد والتهيؤ لمواجهة الأعداء في كلّ الظّروف، ويتدرّج أمير المؤمنين عليه السلام في وصيّته مُحاولًا جعلها وثيقة للحياة، لا يطّلع عليها ذو لبٍّ إلّا وجد فيها منهاجًا يرسم معالم الطريق الموصل إلى الله تعالى.

والجهاد في القرآن هو:

- وسيلة للفلاح: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوٓا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُوا فِى سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة:٣٥].

- طريق المغفرة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَٰهَدُوا فِى سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة:٢١٨].

- إعداد النفس: ﴿وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِىٌّ عَنِ الْعَٰلَمِينَ﴾ [العنكبوت:٦].

- تحقيق العدالة الإلهية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا النَّبِىُّ جَٰهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَٰفِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [التحريم:٩].

٤- الصّبر والتوكّل:

بالإضافة إلى ما بيّنه من مستلزمات إحياء القلب، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأهميّة الجهاد، يُشدّد الامام عليه السلام على فضيلة أخرى لا يتمّ ما سبق إلّا بلزومها، والتّمرّس بها، ألا وهي الصّبر والتوكّل على الله في كلّ الأمور. فيقول عليه السلام

مخاطبًا ابنه الحسن عليه السلام : ((وعوّد نفسك التّصبّر على المكروه ونِعْم الخُلُق التّصبّر، وألجئ نفسك في الأمور كلّها إلى إلهك، فإنّك تُلجئُها إلى كهفٍ حريز، ومانع عزيز، وأخلص في المسألة لربّك فإنّ بيده العطاء والحرمان، وأكثر الاستخارة))[١].

و((الأصل في التّوكل: إظهار العجز والإعياء، والتّوكّل على الله: هو انقطاع العبد إليه في جميع ما يأمله من المخلوقين))[٢]، فإن عوّد الإنسان نفسه على التصبرّ، فقد بلغ مرحلة مهمّة من تزكية النّفس والتّسليم المُطلق لله عزَّ وجلّ. وهذا يعني أنّ عقبة كؤودًا ستكون أمامه ومرافقة له، وهذا ديدن الأنبياء والمصلحين الذين حوربوا على مدى الزّمن؛ لأنّهم أرادوا إعلاء كلمة لا إله إلّا الله، وعن رسول الله صلى الله عليه وآله: ((الصبر ثلاثة؛ صبر عند المصيبة، وصبر على الطاعة، وصبر عن المعصية))[٣].

ومن هنا، أولى الإمام عليه السلام العناية لتوجيه ابنه بلزوم التعوّد على التّصبّر، وأردف ذلك بجملة تجعل التّصبّر ممدوحًا، دالًّا على الخُلُق الرفيع الذي يشمل من يتحلّى به (ونعم الخُلُق التصبّر)، فالأمر خرج عن معناه في كثير من المواضع كون الوصيّة تمثّل توجيهًا تربويًّا وأخلاقيّا، وكون فعل الأمر كان يُستتبع دائمًا بالنتيجة المترتبة عنه، أو بتفصيل المُسبّبات الداعية لهذا الأمر. فالأمير عليه السلام لم يكتنف كلامه الغموض بل عمد إلى تعليل كلِّ طلبٍ بغية التّرغيب فيه مع ما يمتلكه من عطفٍ أبويٍ عند إرسال الخطاب. وكلّ عملٍ سيكون ناقصًا ما لم يتمّ فيه التّوكل على الله تعالى ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [إبراهيم:١١]، ومن آثار التوكّل الكفاية والرّزق فعن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه قال: ((من توكّل على الله كفاه مؤونته ورزقه من حيث لا

---

(١) نهج البلاغة:٥٥٠.

(٢) مجمع البحرين: ٤/ ٥٤٦ (و ك ل).

(٣) الكليني: ٢/ ٩١ .

يحتسب))[١]، وأيضًا الشعور بالعزّة والكرامة والغنى، فعن الإمام الصادق عليه السلام قال: ((إنّ الغنى والعزّ يجولان فإذا ظفرا بموضع التّوكّل أوطنا))[٢].

إنّ فرادة الإمام عليّ عليه السلام وبلاغته وتخيّره للألفاظ التي تلبس المعنى تجعلنا نقف بذهول أمام عظمته، فإنّ استخدام الفعل (ألجئ) يدلّ على الكثير من الاطمئنان والتّسليم تجاه من نريد اللجوء إليه، فكيف إذا كان هو الخالق الذي تفضّل علينا وأخرجنا من ظلام العدم إلى نور الوجود؟ واللجوء في كلّ الأمور إلى الله إنّما يعني التّسليم المُطلق لإرادته، والاطمئنان إلى رعايته وحسن تدبيره الأمور للبشر، فإذا توصّل الإنسان إلى هذه الدرجة من التّسليم والرّضا هانت عنده كلّ الأمور وإن كانت عظيمة. ولم يكتفِ الإمام بالتوجيه للجوء لله تعالى بل أضاف مُرغّبًا بأن بيّن مدى قوّة الحصن الذي نلجأ إليه (كهف حريز، ومانع عزيز)، لا يخيب من التجأ إليه أو احتمى به. ويستتبع ذلك بطلب الإخلاص في المسألة (وأخلص)، فالله أعلم بالنوايا وهو أعلم بالمخلصين. من هنا، فإنّ الإمام عليه السلام يسعى لترسيخ مبدأ اليقين بقدرة الله تعالى على حلّ المشاكل ورفع الهموم عن الإنسان إذا رأى صبره ويقينه بقدرته واستعانته به.

وقد بيّن القرآن الكريم موارد الصّبر وجعله:

- سبيلًا للبشرى الإلهية بعد البلاء: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ* الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ [البقرة:١٥٥- ١٥٦].

- الفوز بالجنّة: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا

(١) ميزان الحكمة: ١٠/ ٦٨٣.

(٢) بحار الأنوار: ٦٨/ ١٢٦.

مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾ [آل عمران:١٤٢].

- أحسن الجزاء: ﴿أولئك يجزون الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا﴾ [الفرقان:٧٥].

- ثوابًا وأجرًا: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ﴾ [القصص:٨٠].

- مفتاح الفرج: ﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ﴾ [النحل:١٢٧].

٥- الدّعاء:

وفي إطار التّرغيب بالدّعاء والتّوبة وما لهما من دور في تربيّة الفرد خُلقيًّا يقول عليه السلام: ((واعلم أنّ الذي بيده خزائن السّماوات والأرض قد أذن لك في الدّعاء، وتكفّل لك بالإجابة، وأمرك أن تسأله ليعطيك، وتسترحمه ليرحمك))[1].

فالدّعاء سلاح المؤمن، وهو الطريق الأقرب للارتباط بالله تعالى، ومن أعظم النّعم أن أبقى الله تعالى بابه مفتوحًا أمام عباده يتقرّبون إليه بالدّعاء سرًّا وجهرًا، ويتضرّعون له خوفًا وخشية، وهو إلى ذلك وعدهم بالإجابة؛ لأنّه أقرب إليهم من حبل الوريد، وحثّهم على الدّعاء؛ لأنّه سبيل الرّشاد فقال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة:١٨٦]، وقرن الدّعاء بالعبادة وجعله جزءًا لا يتجزّأ منها وتوعّد المُستكبرين والمُعتدين الذين يستهينون بأداء حقوق الله بالعذاب الأليم فقال تعالى: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [الأعراف:٥٥]، وقال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ

(١) نهج البلاغة: ٥٥٧.

جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر:٦٠]، وجعل الدّعاء مُقدّسًا، به تسمو الرّوح نحو الدّرجات العلا والمراتب الرّفيعة التي يُحصّلها الإنسان بالتزام رياضاته الرّوحيّة ليبلغ مدارج الكمال. فالله تعالى ليس بحاجة لدعائنا ولا تضرّه معصيتنا، ولكنّه تكرّم علينا بفضله وجوده وأبقى لنا باب الدّعاء مفتوحًا رأفة ورحمة وتفضّلا، فيقول تعالى: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾ [النمل:٦٢]، ويكون الاضطرار عندما يقطع الإنسان أمله من كلّ شيء ويتوجّه بقلبه وروحه إلى واجب الوجود الذي يخضع كلّ شيء لسلطانه وعظمته.

إلى جانب ذلك فقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله حثّه على الدّعاء فقال: ((الدّعاء مخّ العبادة ولا يهلك مع الدّعاء أحد))[1]، فقد قرن الدّعاء بالعبادة وجعله جزءا لا يتجزّأ منها كونه يمثّل الارتباط الواعي بالله تعالى وحاجة الإنسان للّجوء إليه في كلّ أموره؛ لأنّه الميُسّر والمُسهّل لها.

إنّ الإذن بالدّعاء يعني أنّ أملًا كبيرًا قد أعطي للإنسان ليكون على علاقة متينة مع ربّه مع ما ضمنه الله له من الإجابة (وتكفّل لك بالإجابة)، فربط بين السبب والنتيجة عبر لام التّعليل مرّتين (تسأله ليعطيك/ تسترحمه ليرحمك)، إذ بدأ الإمام عليه السلام خطابه بالتّرغيب بالدّعاء مُستخدمًا (قد) قبل الفعل الماضي؛ ليؤكّد هذه الكرامة التي خصّ الله بها عبده وهي الإذن بالدّعاء.

المطلب الثاني: النّهي والتحذير

١- النهي عن الظلم:

يقول عليه السلام مخاطبا ابنه عليه السلام : ((لا تظلم كما لا تحبّ أن تُظلم))[2].

---

(١) بحار الأنوار: ٩٠/ ٣٠٠.

(٢) نهج البلاغة: ٥٥٥.

فالظلم صفة مذمومة، وقد نزّه الله تعالى نفسه عنها بقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ [الحج:١٠]، و يُقابل الظّلم العدل. وهو من الحقوق المُتعلّقة بالنّاس التي لا تسقط بمرور الزّمن، ولا تموت بموت القضيّة، بل تُلازم الإنسان حتّى يقف بين يديّ الله عزّ وجلّ، فيأخذ كلّ ذي حقٍّ حقّه في ظلّ محكمة العدل الإلهيّة؛ لذلك أولى الأمير عليه السلام هذا الأمر أهميّة قصوى في وصيّته، فشدّد على أن يجعل الإنسان نفسه ميزانًا بينه وبين غيره. والوصيّة عندما تخرج من رجلٍ خبر الظّلم ومرارته منذ بداية الدّعوة الإسلاميّة، وما رافقها من طغيان المشركين وأذيّتهم، إلى وفاة الرّسول صلى الله عليه وآله، وما تبعها من أحداث تمثّلت بانحراف الأمّة عن مسارها بعد حادثة السّقيفة، إلى استشهاد الزّهراء عليها السلام غاضبة على من غصب حقّها. هذه المظلوميّة نجد تجلّياتها في نهج البلاغة بكثرة. فكما لا يتقبّل الإنسان وقوع الظّلم عليه، وجب بالمقابل أن يبتعد عن هذه الآفة؛ لتتحقّق العدالة الاجتماعيّة في المجتمع، ورُوي عن الرسول صلى الله عليه وآله أنّه قال: ((اتّقوا دعوة المظلوم، فإنّها تصعد إلى السّماء))[1].

وقد شدّد الله تعالى في محكم كتابه على النهي عن هذه الآفة واعدًا بالمغفرة لمن يستغفر ويتوب، مشدّدًا على أنّ جزاء الظالمين سيكون النار، وأنّ الله لا يظلم أحدًا، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[آل عمران:١٣٥]، وقال: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [آل عمران:١٦١]، وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا

(١) بحار الانوار: ٩٠/ ٣٥٨.

وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ [النساء:١٠]، وقال: ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾ [النساء:٣٠]، وقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[النساء:٤٠].

وبالمقابل فقد ركّزت تعاليم الدّين الحنيف على تمكين العلاقات بين أبناء البشر من خلال التّعاون والتّشارك والاحترام والمحبّة. فهذه المبادئ كفيلة بتكريس الروابط المجتمعية التي تُسهم في ارتقاء المجتمع الإنساني إلى أعلى المستويات، وبالتّالي تحقيق أسمى القيم الاجتماعيّة التي تحكم علاقات النّاس بعضهم ببعض.

٢- المحافظة على الأخوّة:

وقد تكرّرت صيغة النّهي عند الإشارة إلى التّعامل مع الأخ والأهل، هادفة إلى تزويد المُتلقّي بأسس التربية الاجتماعيّة التي تنظّم العلاقات بين أفراد الأسرة، أو بين الفرد والمجتمع. ففي قوله عليه السلام : ((ولاتضيّعنّ حقّ أخيك اتّكالًا على ما بينك وبينه، فإنّه ليس لك بأخ من أضعت حقّه، ولا يكوننّ أخوك أقوى على قطيعتك منك على صلته، ولا تكوننّ على الإساءة أقوى منك على الإحسان))[1].

فقد تتكرّرت لفظة (الأخ) ثلاث مرّات في هذا المقطع، بالإضافة إلى ضمائر الغائب التي تحيل عليه سواء أكانت متّصلة أم مستترة. فالأخوّة تنتفي بتضييع حقّ الأخ، ويأتي دور نون التوكيد المتّصلة بالفعل في كلّ مرّة للتأكيد على عدم قطيعته، أو الإساءة له (لا تضيعنّ/ لا يكوننّ/ لا تكوننّ)، ويلعب التضادّ دورًا في تأدية المعنى (قطيعتك/ صلته/ الإساءة/ الإحسان)، فهي رسالة تربويّة تحثّ المُخاطب على تمتين أواصر الصلة مع الأخ وعدم قطيعته تحت أيّ ظرف من الظّروف؛ لأنّ ذلك سيسهم في القضاء على النّسيج الاجتماعي ويُهدّد العلاقات التي تقوم بين أفراد

(١) نهج البلاغة: ٥٦٣.

المجتمع في حال عدم التزام المُخاطب بما نُهي عنه.

وفي القرآن الكريم دعوة للأخوّة نجد صداها يتردّد، لأهميّتها في المحافظة على النسيج الاجتماعي للمجتمع، بقوله تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً﴾ [آل عمران:١٠٣]، ويقول أيضًا: ﴿إِنّمَا المُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات:١٠].

٣- التحذير من الطمع:

وحين يتعلّق الأمر بالطّمع، فإنّ الآليّات اللغوية تختلف، من استخدام النّهي إلى التّحذير من القيام بالفعل، إذ يقول عليه السلام : ((وإيّاك أن توجف بك مطايا الطّمع، فتوردك مناهل الهلكة، وإن استطعت أن لا يكون بينك وبين الله ذو نعمة فافعل، فإنّك مدرك قِسمك وآخذ سهمك، وإنّ اليسير مع الله سبحانه أعظم وأكرم من الكثير من خلقه وإن كان كلٌّ منه))[1] .

يقسّم الإمام عليه السلام كلامه على ثلاثة أقسام: تحذير، وأمر، فنتيجة. بدأ بالتّحذير من الطّمع ومخاطره، إذ إنّ النتيجة الحتميّة له هي إيراد الإنسان الطمّاع موارد الهلكة مُستخدمًا فعل المضارع الدالّ على الديمومة والاستمراريّة (فتوردك)، وكذلك فإنّ لاستخدام الضمير المنفصل (إيّاك) متبوعًا بفعل، دلالة على المبالغة في التّحذير من الطّمع الذي يحطّ من قيمة الإنسان وكرامته، مُشبّهًا موارد الطّمع بالمطايا والدّواب الجامحة التي أرخيت أعنّتها، إذا ركبها الإنسان فقد زمامه واختياره، وأشرف على الوقوع في الهلكة. وقد استعار عليه السلام لفظ المناهل لموارد الهلاك، فالمنهل هو مورد الشّراب الذي يتدفّق فيأنس عنده الإنسان ويروي عطشه، أمّا المُفارقة هنا ، فإنّ المنبع الذي تقوده إليه مطايا الطّمع فضلًا عن أنّه خالٍ من الماء، فهو يؤدّي إلى الهلكة أيضًا.

(١) م. ن: ٥٦٥.

فالطمّاع سيسقط سقوطًا مُدوّيًا ولن يتمكّن من الوصول إلى طود النّجاة.

ثمّ يأتي الإمام عليه السلام بفعل الأمر (فافعل)، فيحثّ ابنه على قوّة الارتباط بالله، بحيث تكون العلاقة مباشرة معه من غير وسيط؛ لأنّه صاحب الفضل والعطاء، وصاحب النّعمة والإحسان عليه، أمره بالسّعي وتكفّل برزقه، أمّا النتيجة التي خلص إليها: فإنّ الرزق مقسوم ولن يخرج الإنسان من هذه الدّنيا قبل أن يستوفي رزقه، وعليه فإنّ العيش مقدّرٌ على الإنسان وعليه أن يأخذ نصيبه وسهمه من الرّزق بالعمل والسّعي الدؤوب.

وفي القرآن الكريم تردّدت مفردة الطّمع تارة بمعناها الإيجابي وطورا بمعناها السلبي، فالطمع بالمغفرة ودخول الجنة مع الصالحين والأبرار هو مطلب مشروع التفكير به، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ﴾ [المائدة:٨٤]، وقوله أيضًا: ﴿وَالَّذِي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾ [الشعراء:٨٢]، وقوله: ﴿أَيَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ﴾ [المعارج: ٣٨]، وقد تكررت مفردة الطمع في هذه النماذج، وهي بمعنى تمنّي الفوز برضوان الله وجنانه والحصول على المغفرة نتيجة العمل الصالح والتوبة.

المطلب الثالث: التوجيه والإقناع

١ - أحوال الدنيا:

في خطبه عليه السلام ذمّ الدنيا كثيرًا، فهي دار الممرّ، والآخرة دار المقرّ، وحذّر من الوقوع بشباكها، فقال عليه السلام: ((إنّ الدّنيا لم تكنْ لتستقرّ إلّا على ما جعلها الله عليه من النّعماء، والابتلاء، والجزاء في المعاد))[1].

(١) نهج البلاغة: ٥٥٣.

فقد بيّن أمير المؤمنين عليه السلام حال الدّنيا مع ما فيها من مفارقات عجيبة، فهي دار النّعماء والابتلاء، وهي المؤشّر على مصير الإنسان يوم الجزاء، في هذه التركيبة المؤلّفة من تأكيد ونفي واستثناء (وأنّ الدّنيا لم تكن لتستقرّ إلّا على ما جعلها الله عليه) تسليمًا لقضاء الله، وأنّه لم يخلق الدّنيا عبثًا بل لهدف، فجعلها دار ممرّ يمهّد للآخرة، أي: دار المقرّ. وأنّ الدّنيا بُنيت على النّعماء والابتلاء، فالله تعالى أدرى بمصلحة العبد، وهو الذي يُجازيه، إمّا في الآخرة أو غيرها؛ لأمور هو الأعلم بها ولا يُطلع عليها أحدًا.

وبيّن القرآن الكريم أحوال الدنيا:

- هي دار الغرور والشرك: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾ [البقرة:٢٠٤].

- جزاء من باع آخرته بدنياه: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ﴾ [البقرة:٨٦].

- الخاسرون في الدارين: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ [آل عمران:٢٢]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ [آل عمران:١٨٥]، وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنْسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾ [الأعراف:٥١]، وقوله تعالى: ﴿تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: ٦٧]، وقوله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ [إبراهيم:٢٧]، وقوله تعالى: ﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا﴾ [الكهف:٤٥].

ونلاحظ من خلال الآيات الكريمة التركيز على أنّ الدنيا دار الغرور، وأنّ مصير الإنسان في الآخرة مرتبط بعمله الدنيوي، فمن اجتهد وعمل صالحًا ولم يكن في غفلة عن آخرته نجا، ومن اتّخذها للهو واللعب والصدّ عن سبيل الله خسر خسرانًا عظيمًا.

٢- الوحدانيّة:

وعندما أراد البرهان على وحدانيّة الله عزّ وجلّ قال عليه السلام: ((واعلم يا بنيّ، أنّه لو كان لربّك شريك لأتتك رسله، ولرأيت آثار مُلكه وسلطانه، ولعرفتَ أفعاله وصفاته، ولكنّه إله واحد كما وصف نفسه، لا يُضادُّه أحد، ولا يزول أبدًا، ولم يزل، أوّلٌ قبل الأشياء بلا أوّليّة، وآخرٌ بعد الأشياء بلا نهاية... فإذا عرفت ذلك، فافعل كما ينبغي لمثلك أن يفعله في صغر خطره، وقلّة مقدرته، وكثرة عجزه، وعظيم حاجته إلى ربّه في طلب طاعته... فإنّه لم يأمرك إلّا بحَسَن ولم ينْهكَ إلّا عن قبيح))[1].

من الأدلّة على وحدانيّة الله تعالى، نفي وجود شريك معه؛ لأنّ الشّراكة توجب العجز والنّقص، والله تعالى مُنزّه عن النّقص والعجز، ولإثبات ذلك عمد الأمير عليه السلام إلى استخدام أسلوب الشّرط، مُتصدّرًا بأداة شرط غير جازمة (لو) وهي حرف امتناع لامتناع، مع جواب الشّرط المقترن باللام ثلاث مرّات متتالية، فامتناع وجود شريك نفى إمكانيّة إرساله الرسل، بالإضافة لانعدام وجود آثار تدلّ عليه أو تُظهر صفاته وأفعاله. ونلاحظ دقّة اختيار الأفعال وما ينسجم معها من نتائج (لأتتك/ لرأيت/ لعرفت)، فمعرفة الله هي معرفة فطريّة وفكريّة وعقليّة، بعث الأنبياء، وأبدع في خلقه، وكلّ ما في الوجود يدلّ عليه، فلم تقتصر معرفته على بابٍ واحد، بل تعدّدت السُّبُل المُوصلة إليه والدّالة عليه. ثمّ يستدرك عبر الرابطة (لكن) ليؤكّد وحدانيّته

(١) نهج البلاغة: ٥٥٤.

بعد نفي الشّراكة عنه، مبيّنًا صفاته التي لا تخصّ غيره سبحانه، وهو السّرمديّ الذي لا بداية لملكه ولا نهاية.

وقد عبّر الإمام عليه السلام عن ذلك بجملتين متوازنتين متضادّتيْن (أوّلٌ قبل الأشياء بلا أوّليّة / آخرٌ بعد الأشياء بلا نهاية)، فهو الكمال المُطلق الذي يعجز القلب والبصر عن الإحاطة بربوبيّته، وبعد هذه المُقدّمات يصل إلى الهدف المُتحصّل من معرفة الله تعالى ألا وهو التزام طاعة الله والأمن من عقوبته عبر استخدام الأمر (فافعل كما ينبغي لمثلك أن يفعله)، مستخدمًا التقابل الذي يبيّن عجز الإنسان وحاجته لله في كلّ أموره (قلّة مقدرته / كثرة عجزه). وكما أثبت عليه السلام صفة الوحدانيّة لله في بداية المقطع، أنهى بجملتيْن متقابلتيْن تثبتان صفة الرّحمة الإلهيّة، فقد تولّى الله الإنسان برعايته وعنايته، فكانت أوامره ونواهيه تصبّ في مصلحة الفرد (لم يأمرك إلّا بحسن / لم ينهك إلّا عن قبيح).

من هنا، نستطيع القول: أنّ أسلوب الشّرط أدّى دورًا في سوق الحجج والبراهين الدّالة على وحدانيّة الله، يعضّده في ذلك التّقابل بين الجمل الذي بيّن أنّ وجود الله قبل الأشياء وبعدها، بالإضافة للتأكيد عبر استخدام النفي والاستثناء عند الوصول للنتيجة الدّالة على اتّساع الرّحمة الإلهيّة؛ لأنّ الله تعالى أخبر بمصلحة الإنسان فاختار له الأحسن ونهاه عن كلّ قبيح.

ومن الآيات الدالّة على وحدانية الله تعالى:

﴿رَّبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾ [المزمل:٩].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾ [فاطر:٣].

﴿وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَىٰ وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص:٧٠].

﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا﴾ [الإسراء:١١١].

﴿قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ قُل لَّا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾ [الأنعام:٥٦].

﴿ولَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ [الذاريات:٥١].

﴿وقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَٰهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾ [النحل:٥١].

﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [المؤمنون:٩١].

﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الأنبياء:٢٢].

٣- الإيثار:

فضلًا عمّا سبق، فإنّ المُخاطب يعمد أحيانًا إلى وصف الحال نفسه في وضعيّتين تنتميان إلى سياقين متقابلَيْن، ويمكن أن تكون الحجج نقلًا لوجهة النّظر بين المرسل والمُرسل إليه، فيقول الإمام عليّ عليه السلام مخاطبًا ابنه الحسن عليه السلام : ((اجعل نفسك ميزانًا فيما بينك وبين غيرك، فأحبب لغيرك ما تحبّ لنفسك، واكره له ما تكره لها، وأحسن كما تحبّ أن يُحسن إليك، واستقبح من نفسك ما تستقبح من غيرك، وارض من النّاس بما ترضاه لهم من نفسك، ولا تقل ما لا تُحبّ أن يُقال لك))[1].

(١) نهج البلاغة: ٥٥٥.

ونلاحظ تسيّد فعل الأمر على المشهد في خطاب مباشر من خلال الموازنة بين ما يحبّ الإنسان لنفسه وما يجب عليه أن يكون من محبّته للنّاس، فكفّتا الميزان يجب أن تكونا متوازنتين بين حبّ الإنسان نفسه وحبّه الآخرين، بحيث تتوضّح هذه العلاقة لتكون مرآة عاكسة أحوال النّفس البشريّة بما فيها من صفاء ونقاء إذا ما طُبّقت هذه القاعدة؛ لذلك تتوزّع الضمائر بين المخاطب المفرد العائد للإمام الحسن عليه السلام وبين ضمير الغائب العائد للغير. إنّ تكرار الأفعال تارة بصيغة الأمر وأخرى بصيغة المضارع يفصل بينهما الاسم الموصول (ما)، بالإضافة إلى التّقابل بين الجمل قد أضفى على الخطاب مسحة فلسفيّة ومنطقيّة. وهذه التعليمات بلا شك تقع في صلب التربية الاجتماعيّة والفرديّة.

والقرآن الكريم تحدّث حول فضيلة الإيثار التي هي من درجة الإحسان كمبدأ أساسي للارتقاء بالخلق والتقرب إلى الله سبحانه، إذ يقول تعالى:

﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر:٩]، ﴿لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ [آل عمران:٩٢].

﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا * إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاء وَلَا شُكُورًا﴾]الإنسان:٨، ٩].

﴿لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة:١٧٧].

الخاتمة

في ختام بحثنا نشير إلى أنّ خطاب الأمير عليه السلام لا يمكن أن تنهض به دراسة محدودة، فالإمام عليه السلام شخصيّة ثقافيّة نموذجيّة له تجربته الفريدة، وهو القائد النّموذجي الذي لم يترك أي منحى من مناحي الحياة إلّا وسلّط الضوء عليه؛ ليكون الناس على بيّنة من أمرهم. من هنا، فإنّ خطاب الإمام علي عليه السلام قد:

١. وضعنا أمام قائد نموذجي برسالته وثقافته وإمكاناته العقليّة والنّفسية والأخلاقيّة، وأبٍ رحيم عطوف حاول إيصال خبراته وتجاربه؛ لتكون الدرب سالكة لمن وصلهم خطابه؛ ليكون درسًا قيميًّا وأخلاقيًّا وتربويًّا.

٢. كان كلامه عليه السلام ووصفه مطابقًا لما جاء في القرآن الكريم، فهو الذي وعاه وكان العالم بتفسيره وتأويله.

٣. مثّل الخطاب عبر هذه النماذج فعل بناءٍ وإعدادٍ لإنسان المستقبل، عبر رؤية نافذةٍ مستشرفة الآتي؛ ليكون الإنسان على دراية بيكفيّة تزكية نفسه، ومحافظته على الروابط الاجتماعية وتمتين العلاقة مع الله تعالى.

٤. يعدّ أيضًا خطابًا مُنتجًا للثقافة، عبر فهم المشكلات التي يُعاني منها الإنسان، والتحديات التي تواجهه، حيث أنّه عليه السلام فنّد كلّ المسائل التي تناولها، مرغّبًا بكلّ جميل، ومحذرا من كلّ أمر سيّء، مستخدمًا الأمر والنهي تارة، والإقناع تارةً أخرى.

٥. لم يكن خطابًا متعاليا وإن استخدم فيه الأمر والنّهي، فلقد احترم ثقافة المتلقّي وتعامل معه بوصفه شريكًا وعقلًا وكائنًا بشريًّا يقع على عاتقه إكمال المشروع التوجيهي والتربوي.

المصادر والمراجع

*القرآن الكريم.

١. استراتيجيات الخطاب، عبد الهادي الشهري، دار الكتاب الجديد، ليبيا.

٢. أصول التشريع الإسلامي، علي حسب الله، دار الفكر العربي، القاهرة، ط٧، ١٤١٧هـ.

٣. بحار الأنوار، المجلسي، تح: علي أكبر الغفاري، مؤسّسة الوفاء، بيروت، لبنان، ط٢، ١٩٨٣م.

٤. البنيويّة في كتاب معرفة الآخر، سعيد الغانمي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ١٩٩٦م.

٥. تحليل الخطاب الروائي، سعيد يقطين، المركز الثقافي العربي، بيروت، ١٩٩٧م.

٦. التعبير منهجيّته وتقنيّاته، نبيل أيوب، دار المكتبة الأهلية، بيروت، ٢٠٠١م.

٧. الطراز، يحيى بن حمزة العلوي، تدقيق: محمد عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ.

٨. عاشوراء وخطاب المقاومة الإسلاميّة، زيتون علي، معهد المعارف الحكمية، بيروت، ٢٠٠٧م.

٩. قواطع الأدلّة في الأصول، أبو مظفر السمعاني، تح: محمد حسن هيتو، مؤسّسة الرسالة، ١٩٩٦م.

١٠. الكافي، الكليني، دار الكتب الإسلاميّة، طهران، ٢٠٠٠م.

١١. لغة الحديث النبوي وفق استراتيجيات الخطاب، رضوان عبد الكريم، ٢٠١٥م.

١٢. مجمع البحرين، فخر الدّين الطّريحي، شركة الأعلمي للمطبوعات، ط ١، ٢٠٠٩م.

١٣. محاضرات في الألسنيّة العامة، دي سوسير فرديناند، ترجمة: يوسف غازي ونجيد نصر، دار نعمان للثقافة، لبنان، ١٩٨٤م.
١٤. مفتاح العلوم، السكاكي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٤هـ، ١٩٨٧م.
١٥. المقتضب، المبرّد، تح: محمد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب، بيروت.
١٦. مقدمة ابن خلدون، ابن خلدون، تح: درويش جويدي، المكتبة العصرية، صيدا، ط٢، ٢٠٠٠م.
١٧. النقد الثقافي، عبد الله الغذامي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ٢٠٠٥م.
١٨. نهج البلاغة، الشريف الرضي، دار المعارف، بيروت.
١٩. وصايا العرفاء، السيد حسين نجيب محمد، دار المحجة البيضاء، بيروت.